المجلس الثالث عشر

القصيدة:

وَرَأَتْ ما يَمُضُّ مِنْ أَلَمِ اليُتْمِ.

الموضوع:

الصبرُ على المصيبةِ.

المصيبة:

شهادةُ طِفلةُ الحسينِ (ع) رُقيَّة.

صلى الله عليك يـــا رســـول الله وعلـــى آلـــك المظلوميـــن
صلـــى الله عليـــك يا أبا عبـدالله وعلى طفلتك المظلومة رقية
الذائبة بك والميتة عند رأسك لعـــن الله الظالميـــن لكـــم

يا ليتنا كنا معكم فنفوز والله فوزا عظيماً

وَرَأَتْ مـــا يَمُـــضُّ مِـــنْ أَلَـــمِ اليُـــتْمِ مُصـــاباً يَعُـــزَّ عَـــنْ أَنْ يُضـــاهَى
هِـيَ بِنْـتُ الحُسـيْنِ لَـمْ تَعْـرِفِ اليُـتْمَ وَلَـــمْ تَـــدْرِ كَيْـــفَ تَنْعَـــى أَباهـــا
لَـــمْ تَـــزَلْ تَســـأَلِ الأَرامِـــلَ وَالأيتـــامَ عَنْـــهُ وَلَـــمْ تَحْصَـــلْ مُناهـــا
رَأَتْ الوالِـــدَ العَطـــوفَ بِعَيْنِهـــا فَهَبَّـــتْ مَـــذْعُورَةً مِـــنْ رُؤاهـــا
وَاسْـتَفاقَتْ مِـنْ غَفْـوَةِ الضَّـيْمِ تَبْكِـي تُنـــادِي فَـــلا يُجـــابُ نِـــدَاها
فَاسْـــتَفَزَّ الصُّـــراخُ نَـــوْمَ يَزِيـــدٍ وَهُـوَ فِـي قَصْـرِهِ فأَبْـدَى انْتِباهـا
قـــالَ ذَا رَأْسُـــهُ احمِلُـــوهُ إِلِيهـــا فَعَسَـــى تَسْـــتَعيضُ عَنْـــهُ عَســـاها
وَانْحَنَـــتْ فَوْقَـــهُ تُقَبِّـــلُ فَـــاهُ وَهـــوَ مِـــنْ عَطْفِـــهِ يُقَبِّـــلُ فَاهـــا
وَتُنادِيـــهِ يـــا أَبِـــي أَيُ سَـــيْفٍ جَـــذَّ مِنْـــكَ الأَوْداجَ حتّـــى بَراهـــا
يـــا أَبِـــي مَـــنْ تَـــراهُ خَضَّـــبَ مِنْـــكَ الشَّـــيْبَ بِالـــدَّمِ مَـــنْ تُـــرَى أَشْـــقاها

(أبوذية:)

مـــا حسّـــبت أطـــب يحســـين شـــامات وشـــوف ابگتلـــك العـــدوان شـــامات
مـــن الطشـــت ريحـــة مســـك شـــامات مـــن راســـك يـــبن حـــامي الحميّـــه

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ).

إنَّ اللهَ جعلَ الموتَ محتُوماً على جميعِ العبادِ فلاَ مفرَّ لأحدٍ ولا أمانا، كلٌّ من عليها فانٍ، سواء أكانَ صغيراً أم كبيراً ،ذكراً أم أنثى، غنياً أم فقيراً، وكل ذلك بتقديرٍ من الله عزَّوَجل.

فالمسلمُ من استسلمَ لقضاءِ اللهِ وقَدَرِه، والمؤمنُ من تيقَّنَ بصبرِه الثوابَ العظيمَ على المصيبةِ.

فالصبرُ على ابتلاءِ فقدانِ الأحبّة يعني أن نتحمَّلَ الفُراقَ، ونُسلِّمَ لقضاءِ اللهِ ونُؤمِنُ برحمتهِ التي وسِعَت كلَّ شيءٍ ونرضى بثوابِه الكريمِ، ونحتسِبَ الأجرَ العظيمَ على تحمُّلِنا وصَبرِنا كما بشَّرَنا اللهُ في نهايةِ الآيةِ (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ).

فالصبرُ من الإيمانِ كالرَّأسِ منَ الجسدِ، كما أنَّه لا فائدةَ من جسدٍ بلا رأسٍ كذلكَ يعني من لا صبرَ لهُ على المصيبةِ لا إيمانَ لهُ. ولنعلم أنَّ اللهَ يُحبُّ الصابرينَ وهوَ معهم ولكن بشرطِ أنْ لا نشكوَ مُصيبتَّنا بل نحتسبُ حُزنَنا عندَ اللهِ وحدَه ونتحمّلَه ونصبرَ عليه فهذا هو معنى الصبر الجميل، ولا نقولُ ما يُغضِبُ اللهَ بل نفعلُ كما فعلَ نبيُّ اللهِ يعقوب بعد فُراقِه ليوسفِ، لَمْ يشكُ حزنَه ومصيبتَه الى الناسِ بل لربِّ العالمينَ وحدَه، فقال: (إنما أشكو بثّي وحُزني

إلى الله). ولنعلم أن اللهَ يُكافئُ من صَبرَ على المصيبةِ، فعنْ رسولِ اللهِ (ص): (ما مِنْ عَبدٍ تُصيبُه مُصيبةٌ فيقولُ إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ اللَّهُمَّ أْجِرْني في مُصيبتي وأخْلِف لي خيراً منها، إلاّ آجَرَهُ اللهُ في مصيبَتِه وأخلفَ له خيراً منها).
وَلنَعُدَ إلى أهلِ البيتِ (عليهِمِ السَّلامِ) قُدْوَتِنا وأُسوَتِنا لنتعلَّمَ مِنهم التحمُّلَ والصبرَ على البلاءِ والمصيبةِ وعدمِ الشِّكايةِ إلاَّ للهِ، فنتذكَّرُ صبرَ أميرِ المؤمنينَ على ما جرى على الزهراءِ من مصائبَ حتى شهادَتِها، فصَبرَ واحتسبَ أمرَهُ للهِ حتى قالَ فيه الشاعرُ:

صـــــبرَك عجَّـــــب المخلـــــوق	والمـــــلاك الســـــما كلهـــــا
ومصـــــيبتك يـــــاكرار	مـــــامن احـــــد يحملهـــــا

وكذلكَ مصائِبُ كربلاء، وما جرى على الحسينِ فيها حتَّى وصلَ الحِقْدُ والإجرامُ بذبحِ طفلِ الحسينِ، وهوَ على صدرِ أبيهِ ومعَ هذا المصابِ الجللِ أخذَ إمامُنا الحسينَ دمَ الرَّضيعِ ورفَعَه إلى السماءِ شاكياً للهِ وحدَهُ وصابِراً وقائِلاً: "هوَّنَ ما نَزَلَ بي أنَّه بعينِك يا الله". وكذلكَ الحالُ بالنسبةِ للسيِّدةِ زينب تحمّلت مصائبَ كربلاءَ والسَّبي ومع هذا لم تشتكِ لغيرِ اللهِ بلْ صبرَت وتحمّلت وهيَ تعملُ بقولِ أخيها الحسين (ع) : "رضا الله رضانا أهل البيت(ع) نصبرُ على بلائِه،
ويُوفِّيْنا أجورَنَا" فهيَ بِنْتُ وتلميذةُ أبيها أميرِ المؤمنينَ لذا قال الشاعر:

بـــأبي التـــي ورثَـــت مصـــائبُ أمِّهـــا	فغـــدت تُقابلُهـــا بصـــبر أبيهـــا

نعم أخواتي: فإنَّ الكبيرَ يتحملُ ويصبرُ على الفُراقِ والبلاءِ، ولكنَّ ما حالُ الصغيرةِ عزيزةِ الحسينِ طِفلتِه رقية التي كانت مع الأسرى في خَربةِ الشام، وكانت تبكي ليلاً ونهاراً، وهم يقولون لها هو في السفر، فبينما هي نائمةٌ ذاتَ ليلةٍ في الخربةِ، إذ انتبهت من نومِها مذعورةً باكيةً تقول: ائْتوني بوالدِي وقُرَّة عيني، أينَ أبي؟ الآن قد رأيته، ائْتوني بأبي! أريدُ أبي! وكلَّما أرادوا إسكاتَها إزدادَت حُزناً وبُكاءً، فعندَ ذلك تعالى الصراخُ من العيالِ والأطفالِ، حتّى وصلتِ الصيحةُ إلى يزيد فانتبهَ من نومِه فسألَ ما الخبر؟ فأخبروه أنَّ طفلةَ الحسين (ع) رأت أباها في المنامِ فانتبهت تطلِبُه وتبكي... فقال اللَّعينُ: إرفعوا إليها رأسَ أبيها وحطُّوهُ بين يديهَا تتسلَّى به.

(بحراني):

فـــزّت تنـــادي وصـــوتها يبيـــد	صـــم الصـــخر ويـــذوب الحديـــد
أريـــدن أبـــوي الضـــيغم الجيـــد	والـــتمن عليهـــا المفاديـــد
كلمـــا يســـمعنها البكـــا ايزيـــد	وصـــلت الصـــيحة المجلـــس ايزيـــد
نشـــدهم اشصـــاير حـــادث جديـــد	أســـمع بـــواكي يزلـــزل الميـــد
گالولـــه خدامـــه والعبيـــد	طفلـــة حســـين ابوهـــا تريـــد
جـــابوا وشـــافتهم مـــن ابعيـــد	صـــاحت هـــلا براســـك يالعميـــد
يهـــلال عزنـــه ابليلـــة العيـــد	لـــيش اگطعـــت بينـــه يصـــنديد

فأتَوْا بالرأسِ مُغطًّى بمنديلٍ ووضعوهُ بين يديها، فقالت: يا هذا إني طلبتُ أبي ولم أطلب الطعامَ، فقالوا: إنَّ هُنا أباكِ، فرفعت المنديلَ ورأت رأساً، فقالت: ما هذا الرأسُ قالوا: رأسُ أبيكِ، فرفعت الرأسَ وضمَّته إلى صدرِها، وهي تقولُ:

يا أبتاه من ذا الذي خضَّبك بدمائِك؟!

يا أبتاه من ذا الذي قطَّع وريدَك؟!

يا أبتاه من ذا الذي أيتمني على صغر سنّي؟!

(عاشوري:)

يـــا والـــدي والله هظيمـــه آه آه	أصـــير مـــن صـــغري يتيمـــه
أتـــاري الأبـــو يـــا نـــاس خيمـــه آه آه	يفيـــي علـــى ابناتـــه وحريمـــه

يا أبتاه من لليتيمة حتّى تكبر؟! يا أبتاه من للنساء الحاسرات؟! يا أبتاه من للأرامل المسبيّات؟! يا أبتاه من للعيون الباكيات؟! يا أبتاه من للضائعات الغريبات؟! يا أبتاه من بعدَك، واخيبتاه! يا أبتاه من بعدَك، واغربتاه! يا أبتاه ليتني لك الفداء، يا أبتاه، ليتني قبل هذا اليوم عمياء، يا أبتاه ليتني وُسِّدْتُ التُرابَ ولا أرى شَيبتكَ مخضوبةً بالدماءِ!!

(نعي:)

يبويـــه مـــن گطـــع راســـك	ويـــا هـــو الســـلّب اثيابـــك
يبويـــه غطـــى كـــل مصـــاب	امصـــاب المـــاجره امصـــابك
عســـى ابعيـــد البلـــى امخضّـــب	وبفـــيض الـــدما اخضـــبك
اگبـــل مـــا شـــوفك ابهالحـــال	يريـــت انعمـــت عينـــاي

لم تزل تنوحُ وتبكي على أبيها، حتَّى وضعت فَمَها على فمِ الشهيدِ المظلومِ وبكت حتَّى غُشِيَ عليها، (قالَ الإمامُ زينُ العابدين (ع): عمَّه زينب إرفَعي هذهِ اليتيمةَ من على رأسِ والدي فإنَّها قد فارقت الحياة)...

عمّـــه يزينـــب گـــومي ليهـــا	شـــيليها عـــن راس وليهـــا
ماتـــت الطفلـــة مـــن بكيهـــا	واختـــي انكســـر قلبـــي عليهـــا

فحرَّكوها فإذا هي قد فارقت روحُها الدنيا... فارتفعت أصواتُ أهلِ البيتِ بالبكاءِ وتجدَّدَ الحزنُ والعزاءُ، ومن سَمِعَ من أهلِ الشامِ بكاءَهُم بكى فلم يُرَ في ذلكَ اليومِ إلاَّ باكٍ وباكيةٍ.

وعن بعضهِم: وأحضروا لها مُغَسِّلةً تغسِلُها، فلمَّا جرَّدَتْها من ثيابِها قالت: لا أُغسِّلَها، فقالت لها زينب (ع): ولم لا تغسِليها؟ قالت: أخشى أن يكونَ فيها مرضٌ، فإنِّي أرى أَضلاعَها زُرْقاً، قالت: والله ليسَ فيها مرضٌ، ولكن هذا من ضربِ سياطِ أهلِ الكوفةِ..

(عاشوري):

يضـــربونه ونصـــفق بدينـــه آه آه	ويشـــتمون حامينـــه وولينـــه
اتمنينـــه ابـــو فاضـــل يجينـــه آه آه	يشـــاهد اخلافـــه اشصـــار بينـــه

قالت سكينة: فلمّا كانَ اليومُ الرابعُ من مقامِنا -أي في الشامِ- رأيتُ في المنامِ رُؤيا.. رأيتُ امرأةً راكبةً في هودجٍ ويدُها موضوعةٌ على رأسِها، فسألتُ عنها فقيلَ لي: فاطمة بنت محمَّد (ع) أُمُّ أبيكَ، فقلتُ: والله لأَنْطَلِقَنَّ إليها ولأُخْبِرَنَّها

ما صُنِعَ بِنا، فسعيتُ مُبادرةً نحوَها حتَّى لحِقْتُ بها فوقفتُ بين يدَيها أبكي وأقول: يا أمّاه جحدوا والله حقَّنا، يا أمّاه بدّدوا والله شملنا، يا أمّاه إستباحوا والله حريمنا، يا أمّاه قتلوا والله الحسين (ع) أبانا، فقالت لي: كُفّي صوتَك يا سكينة فقد قطَّعْتِ نياطَ قلبي، هذا قميصُ أبيكِ الحسين(ع) لا يُفارقني حتَّى ألقى الله بهِ..

(نعي):

ويـــــن اليواســـــيني ابدمعتـــــه علـــى ابنـــي الـــذي حـــزوا رگبتـــه
أويـــــلاه يبنـــــي المـــــا حضـــــرته ولا غســـــلت جســـــمه ودفنتـــــه

ولذلكَ جاءَ في بعضِ الرواياتِ أنَّه: إذا كان يومُ القيامةِ تجيءُ فاطمةُ وبيدِها اليُمنى الحَسَنُ وبيدِها اليُسرى الحسين (ع)، وعلى كَتِفِها الأيمنِ قميصُ الحسن مُلطّخٌ بالسُمِّ وعلى الأيسرِ قميصُ الحسينِ (ع) ملطّخٌ بالدّمِ، فتُنادي وتقول: ربِّ إحْكُمْ بيني وبين قاتِلي وَلَدَيَّ. فيأمُرُ اللهُ الزبانية فيقولُ لهُم: خذوهُ فَغُلُّوه، فسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون..

(تخميس):

لا بُـــدَّ أنْ تَـــرِدَ القِيامَـــةَ فَـــاطِمٌ	وَقَمِيصُـــها بِـــدَمِ الحُســـينِ مُلَطَّـــخُ
وَيْـــلٌ لِمَـــنْ شُـــفَعاؤُهُ خُصَـــماؤُهُ	وَالصُّـــورُ فِـــي حَـــرِّ الخَلائِـــقِ يُـــنْفَخ

اللهمَّ نسألُكَ يا محمودٌ بحقِّ محمدٍ، يا عالي بحقِّ علي، يا فاطرَ السمواتِ والأرضِ بحقِّ فاطمة يا مُحْسِنُ بحقِّ الحسنِ، يا قديمَ الإحسانِ بحقِّ الحسينِ وطِفْلَتِه رُقية، إغفِرْ ذنبَنا، وفرِّج همَّنا، ونفِّس غمَّنا، وسُدّ دينَنا، واقضِ حوائِجَنا، وشافنا وشافِ مرضانا، وارحم موتانا وتقبّل أعمالنا وأحسن عاقبة أمرنا، وارزقنا شفاعةَ محمدٍ وآلِ محمد، برحمتك يا أرحم الراحمين.